السيد عبدالحسين شرف الدين
رجل الاستثناء في الزمن الصعب

د. حسن محمد نور الدين(*)

صعوبة الزمن

بين مفردتي الاستثناء والصعوبة، تتبدّى تقاسيم شخصية إنسان، من لبنان، تومئ حروف اسمه إلى تاريخ حقبة زمنية، تشكلت فيها صورة حية، لمرحلة أسست لعصر جديد، بعد أن أظهرت أن الكوكب الذي شاءه الخالق، موئلاً ومرتعاً للإنسان ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلاَئِفَ الأَرْضِ﴾[1]، وأمر الكائنات أن تسجد له، لا يمكن أن يجمد، أو يستمر على نمط حركي واحد، أو حالة ثابتة من حالات الحكم المحكومة بأساليب عيش، ونظم حياة، تتفاوت يسراً وعسراً؛ لأن المتغيرات السياسية، وما أكثرها أو أسرعها، غالباً ما تفرض، أو تستوجب المداولة بين المراحل، اتساقاً مع ما يتطلبه الظرف في المكان والزمان.

وإذا كان الإنسان المقصود، رجلاً من بلد اسمه لبنان، ينتمي إلى هذا الكوكب الذي طاولته مفاعيل المتغيرات السياسية، هبوطاً وصعوداً، فإن ثمة مرحلة من الزمن، حدّاها (١٢٩٠هـ/١٨٧٣م ـ١٣٧٧هـ/١٩٥٧م)، تندرج في إطار حقبة شهدت حشداً وازدحاماً لقضايا كبيرة وخطيرة، ولعل الأبرز منها، والأكثر أهمية في تاريخ البشرية، نشوب الحربين الكونيتين الأُولى والثانية، وتناوب استعمارين على حكمها، وإقدام الأتراك على نشر الفساد المترافق مع التنكيل بالمواطنين، وفرض نظام التجنيد الإجباري، وقانون

(*) باحث من لبنان.

السخرة، وإفراغ البلاد من الأيدي العاملة ومن المؤن، والوقوف موقف اللامبالاة إزاء المجاعة، التي حلت وتفاقم خطرها، على مرأى من سلطة الانتداب، ورأسها جمال باشا السفاح (ت١٣٤٢هـ/١٩٢٢م)، الذي مرَّ - يوماً - في بلدة جباع من جبل عامل ربيع ١٩١٦م، واستقبله شيوخ المنطقة، وقدموا له عريضة يشكون فيها الجوع، فسألهم: هل أكلت الوالدة ولدها عندكم؟ فأجابوا بالنفي طبعاً، فقال: إذاً لا يوجد عندكم مجاعة بالمعنى الصحيح[٢].

وكان طبيعياً أن يتولد عن مثل هذا الجواب، حالات من القهر والأسى، حملت الناس على التفتيش عن قوة تساندهم، وملاذ يشد من عضدهم، فكانت جمعية الثورة العربية[٣]، التي تأسس لها فرع في صيدا والنبطية من جبل عامل، وكان أيضاً، أمير مكة الحسين بن علي (ت ١٣٥٠هـ / ١٩٣١م)، الذي أعلن استقلاله في ١٥ حزيران ١٩١٦م، وهاجم الحامية التركية في مكة، وأدخل الرعب إلى قلوب الأتراك الذين عمدوا إلى إخلاء دمشق[٤]، بعد أن شرع نجم دولتهم بالأُفول؛ لتبدأ مرحلة جديدة من الاستعمار لبلاد المسلمين والعرب، بتسيير الحلفاء حملاتهم العسكرية، بعد أن عينوا ضابطاً فرنسياً اسمه فيجل "Figel" مديراً لشؤون صيدا، ومباشرة فرنسا انتدابها بعنف، تمثل بدخول البلدات والمدن، شاهرة السلاح، وضاربة بيد من حديد، تصحبها حروب نفسية وفكرية وثقافية، ترمي إلى تشويه عقيدة الإسلام، وتحطيم شخصيات معتنقيها، على اختلاف انتماءاتهم وأعراقهم.

إزاء هذه المتغيرات التي ذهب ضحيتها الشهداء، الذين علقوا على أعواد المشانق، في السادس من أيار عام ١٩١٦م، رأى اللبنانيون عموماً، والعامليون بشكل خاص، أنهم حققوا انتصاراً على الأتراك والفرنسيين،

واجتازوا مرحلتي التسلط، وهم جاهزون للاتحاد مع سورية، فذهبوا إلى المؤتمر السوري المنعقد في الثاني من تموز عام ١٩١٩م، تعبيراً عن رغبتهم، ومبايعين الملك فيصل (ت ١٣٥٢هـ / ١٩٣٣م)، وذهبوا أيضاً إلى صيدا، للاجتماع بلجنة كينغ ـ كراين، التي أرسلها الرئيس الأميركي توماس ولسون (ت ١٣٤٤هـ / ١٩٢٤م) للوقوف على حقيقة آراء الطوائف والمذاهب الإسلامية والمسيحية، وفوضوا السيد عبدالحسين شرف الدين التحدث باسمهم، وتقديم وثيقة تؤكد ما طرحوه في المؤتمر السوري[٥].

وعمدوا أخيراً إلى عقد مؤتمر على نهر الحجير[٦]، يوم السبت في ٥ شعبان ١٣٣٨هـ الموافق ٢٤ نيسان ١٩٢٠م، حضره أعيان جبل عامل وفاعلياته، افتتحه السيد عبدالحسين شرف الدين بكلمة، شرح فيها الظروف الداعية إلى عقده قائلاً: «... إخواني أعلام الأُمّة... فأما عزة لا تفصم، أو ذلة لا ترحم. أما حياة حرة، أو هوانٌ تهدر في حمأته إنسانية الإنسان. أما استقلال دون وصاية، أو استعباد نكون معه كالأيتام على مأدبة اللئام... ألا وإن جبل عامل، بعد هذا المؤتمر، بين أمرين، عزٌ لا تنفصم عروته... أو ذل تهاوت معه كواكب السعد... ألا وإن النصارى إخوانكم... فأحبوا لهم ما تحبون لأنفسكم، وحافظوا على أرواحهم وأموالهم كما تحافظون على أرواحكم وأموالكم، وبذلك تحبطون المؤامرة، وتخمدون الفتنة[٧].

وبعد التداول، وافق المؤتمرون على إرسال وفد إلى سورية، قوامه السيدان عبدالحسين شرف الدين وعبدالحسين نور الدين (ت١٣٧٠هـ / ١٩٥٠م)، للاجتماع بالسيد محسن الأمين (ت١٣٧١هـ / ١٩٥٢م)، ومن ثم التفاوض مع الملك فيصل[٨]، وإبلاغه قرارات العامليين القاضية بالانضمام إلى الوحدة السورية، وتعيينه ملكاً على سورية، ورفض الدخول تحت حماية الفرنسيين أو انتدابهم.

وما أن تناهت، هذه الأخبار، إلى المتضررين من هذه الخطوات، حتى ثارت ثائرتهم، بدعم من الفرنسيين، الذين شرعوا ببذر الشقاق، ونجحوا في شق الصف العاملي نسبياً[٩]، واختلاق الفتن الطائفية التي أدت إلى فاجعة قرية مسيحية مجاورة لمدينة بنت جبيل[١٠]، من جبل عامل، تدعى عين إبل، انجلت عن مئة قتيل ونيف من أهلها يوم السبت في ١٩ شعبان ١٣٣٨هـ والموافق ٨ آيار ١٩٢٠م[١١]، وانتصر لهذا الحدث جريدة البشير، يومها، متهمة السيد شرف الدين بتهييج عواطف القوم ضد المسيحيين[١٢]، وهذا - طبعاً - كان بإيعاز من الفرنسيين[١٣]، الذين دخلوا في صراع مع الشعب والحكومة في لبنان، فاعتقلوا رئيس الجمهورية، ورئيس الحكومة، ووزراء، ونواباً، من المناطق كافة؛ لينتهي الصراع بالإفراج عن المعتقلين في ٢٢ تشرين الثاني ١٩٤٣م، الذي أصبح - لاحقاً - يوم استقلال لبنان[١٤].

هذا الخضم من الحوادث المتشعبة والمعقدة، والاضطرابات المتداخلة، يشير إلى المرحلة التي تختصر عمر السيد عبدالحسين شرف الدين، العالم الشاب الذي ارتضى لنفسه صفة المنافح عن الحق، ونصرة المظلوم ضد الظالم، والجرأة في قول الكلمة، والشجاعة في المواجهة. ولعل الخصوصية التي تميز بها، كرجل دين، ليس له في دوائر الحكومة اسم أو صفة، تفرض على السلطات العسكرية التعامل معه كتعاملها مع القائمين على الكنائس والأوقاف من أحبار اليهود، وأساقفة النصارى، وعلماء المذاهب الأربعة[١٥]، لعل هذه الخصوصية تضفي على مهمته شيئاً من الصعوبة التي تتماهى مع صعوبة المرحلة، أو الزمن الذي شهد الويلات والمصائب، التي لا يقوى على مجابهتها، أو قهرها، إلاّ الاستثنائيون من الرجال، الذين قدّر للسيد شرف الدين، أن يندرج في لائحتهم.

ويعيش مخاطر الاستهداف، عاملاً في الجهاد الوطني، مقاوماً للانتداب الفرنسي[١٦]؛ لأنه شاء أن يكون رقماً بارزاً، في حياة أُمّته، ومعلم هداية على طريق نموها وتقدمها، إثباتاً لاستثنائيته وجدارته، واضطلاعاً بدوره وريادته.

وإذا كانت الأُمور بخواتيمها، والمقدمات بنهاياتها، والمجريات بظروفها ومتطلباتها، والمتغيرات بتداعياتها، فإن المهمات الصعبة، في الأزمنة الصعبة، تستدعي حضور من يقوى على المواجهة والتصدي، من رجال أقوياء يحسنون توظيف قدراتهم، واستثمارها بصدق؛ ليحكم لهم، ويفوزوا، وتفوز معهم الأُمّة، ويتحولوا إلى رواد وأعلام وعيالم، تهتدي بنهجهم الأجيال الصاعدة، ويصبوا إليهم الشباب الواعي، الذي يتمثلهم قدوة حسنة، ويتطلع إليهم قادة مخلصين.

وهذا لبنان، ومنه جبل عامل، قد وقع فعلاً تحت وطأة الزمن الصعب، في مرحلة حياة العلامة السيد عبدالحسين شرف الدين، وبدت الحاجة - يومها - ماسة إلى الرجال الاستثنائيين، الذين تكرسهم مواصفاتهم أولاً، وتلازم أقوالهم مع أفعالهم ثانياً، رواد إصلاح، ورموز تنوير لإحداث التغيير نحو الأفضل، والانتصار على الواقع المظلم، انتقالاً إلى واقع تسوده الطمأنينة، ويعمّه السلام.

استثنائية الرجل:

ولما كان لهذا المجاهد شرف المشاركة، أو ريادة هذا الدور، فإن الضرورة تدعو على بيان موقعه، في ومن ذاك الزمن، وهل ساهم فعله، وفكره، ونهجه، ودوره في ما آلت إليه أوضاع المسلمين والعرب اليوم؟ وهل كان شخصية استثنائية حقاً؟ وكيف؟

إن الرجل الاستثنائي، في الزمن الصعب، ليس الذي يقول كلمته ويمشي، أو من يسجل على الجدران أنه مرَّ أو أقام، أو حلّ هنا وخيّم هناك، أو ذاك الذي يهيئ الأشكال والألوان من الأثواب التي يرتديها تبعاً للطارئ من الظروف والأحوال، أو ذاك الذي يأخذ من عمته أو عباءته شماعة يعلق عليها تقاعسه وكسله، يقضي العمر بعيداً عن شؤون الناس وشجونهم، وإنما الذي يعرف الحق، فيسعى إليه، أو يمشي معه، مضطلعاً بدوره الصعب، حين تدعوه لإنقاذها أُمّة تعمر قلوب أبنائها بالعنفوان المشبع غضباً، جرّاء تكبيلها بسلاسل الجور والطغيان، فيلبي، ويجسد شخصية المتفاني في الدفاع عنها من أجل بقائها، وعلو شأنها، وضمان استمرارها.

وهذا لعمري، يستوجب إلى جانب الدفاع المستميت، والصدق، والإخلاص والتضحية، مواصلة الجهاد بحكمة ودراية، في المستقبل تحصيناً للمسيرة، وحفظاً للمكاسب، وصوناً للأهداف، وهي السمات التي حكمت سلوكية السيد عبدالحسين شرف الدين، وجسدت دوره كشخصية إصلاحية بامتياز، ورجل عصامي، ومجدد تنويري شجاع، وثائر عصري بلباس علمائي مؤمن، كرسها، ربما، ذلك التكامل الواضح، والتلازم المحكم بين جملة من الخصائص المعنوية والمادية، في شخصيته الفردية، كثراء الفكر، وشجاعة الموقف، ووضوح المنهج، وسلامة الخط المصحوب بحسن الأُسلوب في التطبيق، وصولاً إلى ما أثر من تراث يعتد به، أو علم ينتفع منه.

ثراء الفكر:

فالثراء الفكري، قرين العلامة السيد عبدالحسين شرف الدين، المسلم بالسليقة، وربيب الأبوين المتصل نسبهما بسابع أئمة أهل البيت الإمام

موسى الكاظم[١٧] (ت ١٨٣هـ / ٧٩٩م) عليه وعليهم السلام[١٨]، وسليل الأُسرة العلمية، من جبل العلماء المجاهدين في مطلع القرن العشرين[١٩]، المتتلمذ على أبيه السيد يوسف (ت١٣٣٤هـ / ١٩١٥م)[٢٠]، الذي لقنه المنطق وسطوح الفقه، وعلوم المعاني والبيان والبديع، والأدب العربي، وكان قاسياً في تعليمه، إذ كان يدرسه كتب النحو، ويلزمه قراءة العبارة وإعرابها، ثم تفسيرها، قبل الدرس في كل يوم، ثم يطلب منه حفظ بيتي شعر من ديوان الحماسة يومياً، أو غيره من شعر العرب، ويتلوهما، ويفسرهما، فضلاً عن إلزامه بحفظ ألفية ابن مالك، مع التركيز - طبعاً - على حفظ القرآن، وفهم تفسيره، ودراسة (نجاة العباد) التي كانت مرجع المقلدين[٢١]، للعمل على مقتضاها، وقراءة كتابي (فقه الإمامية) و (شرائع الإسلام)[٢٢]، والغاية واضحة، هي إعداده بإتقان ليخرج إلى المجتمع عالماً متكاملاً، ومحيطاً بجوانب الرسالة الإسلامية كافة.

وعندما أظهر كفاية وتميزاً، وبدت رغبته الطموح في التحصيل، قرر الوالد إيفاده إلى العراق؛ لإكمال دراسته، حيث انتظم في حوزات الكاظمية، وسامراء، وكربلاء، ثم النجف ومدارسها، صارفاً عقداً ونيفاً، من عمره، مع العلماء، تعلماً، وممارسة للشريعة، وتعليماً، إذ كان له شيوخ أخذ عنهم، وطلاب أخذوا عنه؛ ليعود، بعدها، إلى لبنان عالماً مشهوداً له، ومعروفاً في العديد من الأوساط المثقفة، ومتوجاً بإجازات أكابر العلماء[٢٣]، الذين شهدوا له بالاجتهاد المطلق، ودعوا العامة إلى الأخذ بما يعطي، والامتناع عما يردع[٢٤].

وهكذا، بدأت مرحلة جديدة من حياته، وبات مقصد العلماء، وكهف الفقراء والمحتاجين، ما فرض عليه الانتقال إلى مدينة صور سنة (١٣٢٧هـ / ١٩٠٧م)، ليشد أوصالها، بعد أن كانت مفككة، ورفع

صوتها، بعد أن كان خفيضاً، وأنشأ فيها مؤسسات دينية وثقافية واجتماعية، وتربوية، بعد أن كانت صفراً منها: ليتمثل عالماً فقيهاً، ومثقفاً مميزاً، ورائداً مصلحاً، وصاحب دستور تربوي فريد.

وتتمثل صور عاصمة للفتيا والقضاء، ومنتدى للعلم والأدب، وموئلاً تهفو إليه قلوب المستضعفين، والمعذبين في الأرض، ومركزاً تقام فيه المواسم الإسلامية والاجتماعية والتراثية، تخفق فيها الرايات، وتتزاحم المناكب، وتتتابع الوفود من أفغانستان، وباكستان، وإيران، والعراق، فضلاً عن الوفود اللبنانية جنوبية وشمالية، بقاعية وساحلية، بل كانت ملتقى للعلماء والأُدباء والشعراء، يجدون فيها نجعتهم... وكم عقدت فيها حلقات العلم، وندوات الأدب واللغة والتاريخ، وكم التقى فيها زائرون من قم وخراسان والنجف والكاظمية وكربلاء وبغداد، ومن حلب واللاذقية، ومن بعلبك وطرابلس، وكان السيد يزور كل هؤلاء ويزورونه[٢٥]، ما ساهم في ذيوع صيته، وانتشار اسمه في الأصقاع، حيث راح يتلقى الدعوات لزيارة الأقطار العربية، التي شرع بتلبيتها، ومنها: العراق، والحجاز، ومصر.

وهذه الأخيرة أدت إلى نسج علاقات مهمة، أنتجت اتصالاً فكرياً بين مدرستي النجف والأزهر[٢٦]، تمثل بأبحاث فقهية دارت مع أعلام الأزهر، تضمنها كتاب المراجعات، الذي حوى مئة واثنتي عشرة مراجعة طرحها شيخ الأزهر، حينذاك، الشيخ سليم البشري (ت١٣٣٢هـ / ١٩١٧م)، وردّ عليها السيد شرف الدين بأُسلوب فقهي، لا يستنطق فيه رأي الشيعة في ما يقول السنة، ولكنه كان يستنطق ما يقوله علماء أهل السنة، من خلال قواعدهم الفقهية، التي يلتزمون بها في مناقشة فكرهم وفقههم[٢٧].

وهذه المراجعات، دارت حول: الإمامة، والخلافة، ووحدة المسلمين،

وحب أهل البيت والاحتجاج بكلامهم، والقياس، واحتجاج أهل السنة برجال الشيعة، والتماس النص بالخلافة، وحديث المنزلة، وبيان المراد من الولي، والأدلة على نزول آية الولاية، وفضائل الإمام عليّ، والتماس حديث الغدير، والوراثة والوصية، والإعراض عن حديث أُم المؤمنين، وأفضل الزواج النبي، والتخلف عن سيرة أُسامة بن زيد بن حارثة (ت ٥٤هـ / ٦٧٤م) إلى غزو الروم، ويوم السقيفة.

وختم الشيخ البشري هذه المراجعات قائلاً: «أشهد أنكم في الفروع والأُصول، على ما كان عليه الأئمة من آل الرسول، وقد أوضحت هذا الأمر فجعلته جلياً، وأظهرت من مكنونه ما كان خفياً، فالشك فيه خيال، والتشكيك تضليل، وقد استشفعته (أي نشرته وفتشته) فراقني إلى الغاية، وتمخرت ريحه (أي بحثت عن مهبها) الطيبة، فأنعشني قدس مهبها بشذاه الفياح، وكنت ـ قبل أن أتصل بسببك ـ على لبس فيكم، لما كنت أسمعه من إرجاف المرجفين، ومصباح دجى، وانصرفت عنك مفلحاً منجحاً، فما أعظم نعمة الله بك عليَّ، وما أحسن عائدتك لديّ، والحمد لله رب العالمين»[٢٨].

بعد هذه المراجعات المهمة، اعترفت جامعة الأزهر، رسمياً، بالمذهب الإمامي الجعفري إلى جانب المذاهب الأربعة، وظهر لكتاب المراجعات، مع ما نجم عن علاقات الإمام شرف الدين بأعلام الأزهر، من نتائج وآثار، عادت على المسلمين، عامة، بأعم الفوائد وأجداها، وساهمت لاحقاً في إزالة ما كان علق في أذهان الأجيال من أفكار بالية[٢٩]، وكرست السيد عبد الحسين شرف الدين مرجعاً متكاملاً موثوقاً، محيطاً بأُمور الدين والدنيا إحاطة العارف الحاذق، وأشعرته أهمية موقعه، وخطورة دوره ودقته، وهي أُمور تلزمه الجد والمثابرة والعمل الدؤوب من أجل الاستزادة

المعرفية والعلمية، خصوصاً، في ميادين الإنسانيات، والاجتماع والسياسة، فكان اهتمامه بالتاريخ، والفلسفة والأدب، والمعارف الأُخرى، واتسعت آفاقه، وتعمقت أبحاثه، وتشعبت اهتماماته،وغطت رسائله معظم الموضوعات[٣٠]، التي راحت تنتشر، وتروج في حقبته الزمنية، التي سادتها تيارات جديدة، أفرزت أعلاماً تنويريين، رفعوا شعارات تنبئ بالإصلاح والتقدم، وبذلوا، في سبيل تحقيقها، غالياً ونفيساً، ومن هذه التيارات: تيار الوحدة الإسلامية، والعثمانية، والوطنية، والقومية، وتيار الوحدة العربية، ولكل منها سمات وخصائص، قد تلتقي أو تتعارض مع خصائص الآخر.

فتيار الوحدة الإسلامية، الذي كان نشأ في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، ممتداً إلى القرن العشرين، جاء رداً على الغزو العسكري والثقافي الغربي للعرب والمسلمين، الذين كانوا قد عجزوا عن صده[٣١]، ما جعل مفكري هذا التيار، ومنهم: جمال الدين الأفغاني (ت١٣١٥هـ / ١٨٩٧م) واسمه محمد بن صفدر، أي "صف" و "در" ومعناها مخترق الصفوف، وقد تكتب صفتر[٣٢]، ومحمد عبده (ت١٣٢٣هـ / ١٩٠٥م)، وأحمد شوقي (ت١٣٥١هـ / ١٩٣٢م)، ومحمد رشيد رضا (ت١٣٥٤هـ / ١٩٣٥م)، يطلقون دعوة إلى مواجهة الغربيين، ودحرهم تحت راية الدين، ولاقت هذه الدعوة هوىً في نفوس الناس في مصر وغيرها، لكنها ضعفت بعد موت الأفغاني..

فقام على أنقاضها تيار العثمانية الذي تمسك دعاته بالدولة العثمانية، باعتبارها الممثلة الأفضل للإسلام، والأجدر بإنقاذه، ومن رجالاته: أحمد فارس الشدياق (ت١٣٠٤هـ / ١٨٨٧م)، ومصطفى كامل (ت١٣٢٦هـ / ١٩٠٨م)، وأحمد عرابي (ت١٣٢٩هـ / ١٩١١م)، ومحمد فريد (ت١٣٣٨هـ / ١٩١٩م)، وكان أحمد عرابي قد دعا إلى مؤازرة الدولة العثمانية، معتبراً

عدم الوقوف إلى جانبها، خروجاً عن الدين الإسلامي، وتدميراً له[٣٣].

ويلي هذين التيارين، تيار الوطنية، الذي شكل مزيجاً من فريقين، الأول يقرن أصحابه[٣٤]، الإيمان بالدين والوطنية، ويرون أن خدمة الوطن واجب، وأي إهمال أو تقصير في هذا الواجب، يعتبر خيانة كبرى[٣٥]، والثاني يرى أصحابه[٣٦]، أن الدين نقيض رابطة الوطنية، التي تشكل القاسم المشترك الوحيد بين الناس[٣٧].

ثم ظهر تيار القومية، الذي تراوحت أفكار أتباعه بين القومية الشاملة على طريقة القومية الألمانية وغيرها، والقطرية والمناطقية، لتتجسد لاحقاً بدعوات على القومية اللبنانية، والفرعونية والسورية، وغير ذلك من الدعوات التي تحكمت بآفاق تطلعات مناصريه من لبنانيين ومصريين وسوريين وسواهم.

أما تيار الوحدة العربية، فقد قام بعد أن تمادى الأتراك في التعبير عن عدائهم للعرب، وازداد تمسكم بالدعوة الطورانية، وأظهروا عنصريتهم التركية، من غير أن ينفع معهم النصح والإرشاد[٣٨]، مما حمل قادة الرأي من العرب، على بلورة تصوراتهم لمستقبل أوطانهم بطرق منظمة، أسفرت عن تأسيس عدد من الجمعيات والأحزاب السياسية كالإخاء العربي، والجمعية القحطانية، والمنتدى الأدبي، وجمعية النهضة العربية، والعربية الفتاة التي اختصرت أهدافها بالسعي إلى استقلال البلاد العربية وتحريرها من السيطرة التركية، أو أية سيطرة أجنبية، ومن أبز أتباع هذا التيار: سليم البستاني (ت١٣٠٢هـ / ١٨٨٤م)، وإبراهيم اليازجي (ت١٣٢٤هـ / ١٩٠٦م)، وعبدالغني العريسي (ت١٣٣٤هـ / ١٩١٦م)، ويعقوب صروف (ت١٣٤٦هـ / ١٩٢٦م)[٣٩].

إن هذا التداخل بين هذه التيارات المتعددة، تجلى بوضوح أمام السيد

عبدالحسين شرف الدين، الذي أدرك إدراكاً مسؤولاً وواعياً، أن فكره، أو فكر أي مخلص في تطلعاته الوطنية والقومية والإسلامية، لا يمكن أن ينعزل عن الجو الذي خلفته الحالة التي تشهدها الحقبة التي انتمى إليها زمنياً، كما أدرك أن النهضة الحديثة لم تكن وليدة الصدفة، ولم تحصل نتيجة الفوضى والاضطراب، بل كانت ثمرة الانفتاح الواعي، والتفاعل الإيجابي بين الحضارات(٤٠)، التي انفتح بعضها على البعض الآخر، ليتم التلاقح فكرياً واجتماعياً وثقافياً وغير ذلك.

لذا، أراد لفكره أن، يكون تأصيلاً للثوابت الدينية الخالصة، في جوهرها، من كل البدع والخرافات، واستيعاباً مسؤولاً ومدركاً لحضارات تراثه الإيماني، تعبيراً عن الاتصال المستمر أو التكامل بين الحقب والأزمنة، إذ لا مستقبل بدون حاضر، ولا حاضر بدون ماضٍ، وهضماً سائغاً لنظريات الأُمم الأخرى، وتكيفاً إيجابياً مع السائد من التيارات الحديثة، أخذاً بالإيجابي الحسن منها، ولفظاً للسيء ونبذه.

إذاً، ثمة تسليم واضح، وإقرار جريء وصريح، من قبل مفكرنا السيد شرف الدين، باستحالة إلغاء فكر لفكر، أو تيار لتيار، فضلاً عن إيمانه الراسخ بمبدأ المشاركة والتفاعل؛ لأن الكون، باعتقاده الصائب، يتسع لمن يقوى على التكيف مع غيره، كما يتسع للتنوعات الفكرية والسياسية والدينية والمذهبية، ويحتضنها في نطاق الحوار والاجتهاد؛ لأن الفكر الإنساني خارج دائرة الاحتكار والانحباس، فهو مشاع للعالمين، يأخذ منه من يشاء ما يشاء، مما يتناسب وطبيعة عمله وتفكيره، وهذه سنّة كونية يجب أن يتعامل معها كل راشد وواع.

وعليه، سعى السيد شرف الدين إلى استقراء الأفكار والعقائد، وغاص عمودياً في حيثياتها وجزئياتها؛ ليأخذ بكل إيجابي فيغنيه، ويرفض

كل سلبي فيزريه، موظفاً، كل ذلك، في سبيل الوحدة التي آمن بها، بعد التأكد والتأكيد أن مرض التجزئة والتمزق والتعصب، ما زال آخذاً في النمو، والقضاء عليه لا يكون بالإمعان في ما يغذيه من محاولات تفتيت، بل بالتعاون والدعوة إلى الوحدة، عملاً بالنصوص الإلهية: ﴿وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُواْ﴾ و﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ﴾(٤١).

واستجابة للحديث الشريف: «المسلم أخو المسلم، لا يخونه ولا يكذبه ولا يخذله، ولا يظلمه ولا يحقره، كل المسلم على المسلم حرامٌ دمه وماله وعرضه.. ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة»(٤٢).

وإيماناً بقول الإمام عليّ عليه السلام: «عجبت لرجل يأتيه أخوه المسلم في حاجة فيمتنع عن قضائها... » و«لا يكونن أخوك على قطيعتك أقوى منك على صلته»(٤٣).

وتيمناً بقول الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام (ت١٤٨هـ / ٧٦٥م): «المسلم أخو المسلم، وهو عينه ومرآته ودليله، لا يخونه ولا يخدعه، ولا يظلمه، ولا يكذبه، ولا يغتابه»(٤٤).

لذا، نجده يركز في خطبه وحواراته، باستمرار، على الحديث الشريف: «من قال لا إله إلاّ الله، محمد رسول الله، حرام دمه وماله وعرضه»(٤٥).

متابعاً: ليعلم الناس أن أمر المسلمين ليس كما يزعمه إخوان العصبية، وأبناء الهمجية، وحلفاء الحمية حمية الجاهلية... وهذا عصر العلم، عصر الإنصاف، عصر النور، عصر التأمل في حقائق الأُمور، عصر الإعراض عن كل تعصب ذميم(٤٦).

ومؤكداً على أن الإسلام لا يفرق بل يجمع، بـ : أشهد أن لا إله إلاّ

الله وأن محمداً رسول الله، بإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم الشهر وحج البيت، والإيمان باليوم الآخر، وإحياء ما أحياه الكتاب والسنة، وإماتة ما أماتاه، وتحقيق ما حققاه، وإبطال ما أبطلاه[٤٧].

أما كيف لهذه الوحدة أن تقوم؟ فإن السيد شرف الدين، حدد جملة من الأُسس التي تصلح أن تكون أرضية مناسبة لها، وأهمها:

١ ـ عدم استغراق مذهب إسلامي في مذهب إسلامي، والابتعاد عن الصغائر التي تؤثر على الجوهر، وهو يقول في هذا الصدد: إن الطريق الوحيد إلى الوحدة الإسلامية بين طوائف المسلمين، إنما هو تحرير مذاهبهم، والاكتفاء من الجميع بالمحافظة على الشهادتين والإيمان باليوم الآخر، وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة[٤٨]، وهو ـ هنا ـ يلتقي مع الداعين إلى اعتبار الإمامة، كشهادة ثالثة، أصلاً من أُصول المذهب، مع أنه مؤمن بها أصلاً من أُصول الدين.

٢ ـ تناسي الماضي، وعدم نبش الخلافات السابقة؛ لأن المسلمين، حسب رأيه، أحوج إلى التعاون والمسالمة، لا إلى التفرقة والمحاربة[٤٩]، ومن مؤيدي هذا الرأي الشيخ محمد جواد مغنية (ت١٤٠٠هـ / ١٩٧٩م)، الذي يدعو أيضاً إلى دفن الماضي للاتحاد والتعاون بين المسلمين[٥٠].

٣ ـ تشجيع مواقف الداعين، بإخلاص إلى الوحدة الإسلامية، وهو يعبر عن هذا المبدأ بتشجيعه وثنائه على وزير الأوقاف المصرية، في عصره، الشيخ أحمد حسن الباقوري لإصداره كتاباً في فقه الإمامية، يهدف من خلاله إلى التقريب بين المذاهب الإسلامية كافة، وثنائه، أيضاً، على هاشم الدفتر دار المدني، ومحمد علي الزعبي لنشرهما كتاب الإسلام بين السنة والشيعة الذي ساهم في تضييق شقة الخلاف[٥١].

وكي لا تجوّف هذه الوحدة، أو تفرغ من مضمونها، دعا السيد

شرف الدين إلى الترفع فوق الجزئيات، ونبذ الحساسيات، وإدراك أن الاستعمار وأعوانه، ما تخلفوا قط، ولا للحظة واحدة عن شعارهم (فرق تسد)، بل واضبوا، بثبات، على بث روح الطائفية، وبذر بذور الفتنة، وأصّلوا الخلافات، وغذوا النزاعات، منتصرين لهذا دون ذلك؛ ليصلوا إلى أهم هدف وأخطر غاية ألا وهي القضاء على الإسلام والمسلمين[٥٢]، إلى ذلك أشار شيخ الأزهر محمود شلتوت (ت١٣٨٣هـ / ١٩٦٣م) حين أدلى بحديث، بعد وفاة السيد شرف الدين بسنة تقريباً قائلاً: وجد المستعمر ثقوباً نفذ منها، وأخذ يعمل على توسيع تلك الثقوب، حتى استطاع أن يلج منها إلى وحدة المسلمين يمزقها، ويفرق شملها، وبذلك دبت، فيما بينهم، عقارب العصبية المذهبية، وكان من آثارها السيئة ما حفظه التاريخ...

وها نحن ندعة باسم الله، واسم كتاب الله، واسم الوحدة الإسلامية، وباسم الاعتصام بحبل الله، ندعو علماء الفريقين إلى التقارب، والمصافحة، حتى نسد الثقوب على المستعمر، ويعود إلينا مجدنا وشعارنا[٥٣]، وأكد ذلك، أيضاً، الشيخ محمد جواد مغنية حين قال: أجل، لا شيء أكثر فساداً، وأعظم ضرراً من الاستعمار... فعلينا نحن رجال الدين، مسلمين ومسيحيين، أن نقف له بالمرصاد، ونحاربه... علينا أن نعلن مساوءه أينما حل، ونصرخ في وجهه أنّى اتجه، بذا نؤدي رسالة الدين بأمانة وإخلاص ونكون مجددين[٥٤].

إذاً، الاستعمار نقيض التوحد دائماً، ولتحقيق غايته في التجزئة والتفرقة، يثير النعرات المذهبية، ويستميل من يساعده في ذلك، من زعماء ومأجورين يحرضهم ضد المناوئين لهذه السياسة، لا سيما رجال الدين أمثال السيد شرف الدين؛ لأن أكثر ما يضير هذا الاستعمار، وحدة المسلمين، لما لهذه الوحدة من أبعاد إنسانية تفضح النوايا الخفية للمستعمر، من جهة،

ومن جهة أُخرى، تظهر الجوهر الحقيقي للإسلام كدين توحيدي، يمقت التجزئة، ويرفض أي خلاف بين الناس؛ لأن تعاليمه السمحاء، لا تدعو إلاّ إلى رفاه البشرية وغيرها، وهل أُوحي للرسول ﷺ بغير ذلك؟ وهل جاء خاتم النبيين إلاّ لنشر القيم الداعية إلى المحبة والسلام؟! ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾(٥٥).

الإسلام إذاً، دين محبة، ودعوة تآلف ووحدة، ودستور عدل وحرية ومساواة، وبه وبواسطة مبادئه وتعاليمه، تشهد المجتمعات الإنسانية أنها تخلصت من الشوائب، التي خلفتها الجاهلية، حيث كانت شريعة الغاب هي السائدة، لكن انتشار الإسلام خارج الجزيرة العربية، وامتداده إلى أصقاع الدنيا، واختلاف الناس في فهمه، وطريقة تطبيقه، وأُسلوب ممارسته، أدت إلى خلل أصاب صورته بشيء من التشويه، خصوصاً عندما راح المغرضون يحملونه مسؤولية تخلف الأُمّة، ويحاولون إظهاره مظهر السد والحاجز في وجه الحضارة والرقي، متذرعين حيناً بالتخلف الذي كان سائداً أيام الأتراك، الذين عملوا ما بوسعهم لإبعاد الناس عن جوهر الدين،وحيناً آخر بممارسات الأنظمة التي تتبنى الإسلام شكلاً لنظام الحكم، وفي الجوهر تنأى عنه وتبعد كلياً.

فالإسلام، مثلاً، يحارب الفقر ويمقته، ويمنع الفوارق بين الناس، ويدعو إلى المساواة، ويرفض العبودية والاستغلال والاستبداد، ويرفع من قدر المرأة، ويحترم حريتها، ويوجب التعاون،ويوطد أواصر القربى، في حين أن مسلمي الأنظمة، يمسكون بمقاليد السلطات، ويستأثرون بمقدرات الأوطان، ويحرمون الشعب، ويمارسون استبدادهم وكأن سلطتهم مستمدة من سلطة الله عزّ وجلّ، ويثقلون الرعية بالقيود، ويحبسون المرأة في دونية مظلمة؛ لتصبح سلعة مجوفة من مضمونها الإنساني.

كلها عوامل تضافرت لتغدو سمة الزمن الصعب، وتبدو كفيلة بالحض على ظهور من يجابهها، فكانت الدعوات الإصلاحية، التي كثرت معها الدراسات والأبحاث، وبرز عدد من المصلحين، ومنهم: عبدالرحمن الكواكبي (ت١٣٢٠هـ / ١٩٠٢م) الذي لم يجد وسيلة للقضاء على الظلم والاستعباد إلاّ بسيادة العدالة والمساواة بين الناس[٥٦]، ورفاعة الطهطاوي الذي حمل لواء العدالة الاجتماعية، والقضاء على الاستغلال[٥٧]، وأحمد فارس الشدياق الذي جرد سيفه لقهر الفقر[٥٨]، وقاسم أمين الذي جاهر بدعوته إلى تحرير المرأة، وتعليمها وخروجها إلى العمل كالرجل[٥٩].

شجاعة الموقف

هذه الدعوات التي راحت أفكارها تنتشر بين الناس، لتشكل مادة حوار ونقاش في المجتمعات، خصوصاً تلك المحكومة ممن لا يعترفون بالمجاعة إلاّ إذا أكلت الأُم ولدها، طرقت سمع السيد شرف الدين، ودخلت إلى قلبه المفعم بها أصلاً، فاستوعبها وهضمها، وصهرها بفكره، وراح يترجمها قولاً وفعلاً، جامعاً بين الدين والأخلاق، التي يراها ملكات في النفس، إنسجاماً مع قول عبدالرحمن بن خلدون (ت٨٠٨هـ / ١٤٠٦م): لا تحصل الملكات إلاّ بتكرار الأفعال؛ لأن الفعل يقع أولاً، وتعود منه للذات صفة، ثم تتكرر فتكون حالاً، ومعنى الحال أنها صفة غير راسخة[٦٠]، ثم يزيد التكرار، فتكون ملكة أي صفة راسخة، يمكن اكتسابها عبر التربية والمعاشرة اللينة، إذا حسنتا، ابتعد المكتسب عن الخطأ، وآل المجتمع والإنسان إلى الصلاح.

ولأن الوحدة لم تعد مجرد واجب ديني إسلامي مقدس، ومن

مكونات إيمان المسلم، بل غدت ضرورة حياتية يدركها العقل؛ لضمان الحد الأدنى من سلامة الأُمّة، وبقاء الكيانات التي تتشكل فيها دولاً ومجموعات إقليمية، فهي، من الناحية الموضوعية المصلحية، المحضة، ليست ترفاً يقتضيه ويبرره الاكتفاء، بل ضرورة تقتضيها المصلحة أيضاً[٦١].

ولأنها، أي الوحدة الإسلامية، قضية حيوية بالنسبة للمسلمين، وهي تتصل بوجودهم وبكراماتهم، تشكل البعد الأساس للمستقبل[٦٢]، الذي يقترن فيه الدين بالعمل الصالح، المعبر عنه بالمعاملات الدائرة بين أبناء المجتمع، فإنها في مطلق معانيها وأشكالها، شكلت غاية إصلاح، وفي كل ميدان من ميادين الحياة، عند السيد شرف الدين[٦٣]، الذي اعتقد أن نجاحها أو قيامها، مرهون، أولاً، بحل المعضلات الاجتماعية، وهو أمر دون تحقيقة مخاطر، تستدعي التضحية التي لم يضنّ بها ويبخل، بل مجرد أن خرج الأتراك من لبنان، ودخل الفرنسيون الذين شجعوا إنشاء الحكومات المحلية، ولأنه لم يؤمن بانتداب أو حماية دولة استعمارية، سارع إلى إنشاء حكومة في صور برئاسة السيد عبدالله يحيى خليل[٦٤]، قائلاً: وأنشأنا في صور حكومة.. تحتفظ بالزمام لتلقيه بعدئذٍ إلى الأمير فيصل حتى تُتوّج مساعيه بالنجاح[٦٥].

ثم سارع إلى إعلان الجهاد من أجل التحرير والوحدة[٦٦]، محولاً داره إلى ندوة أحرار، وكم كان له من وقفة وطنية، يقاوم الاستعمار، ويصد البغي والظلم، ويدافع عن الكرامة، كرامة أُمّته ووطنه[٦٧]، وخير دليل على ذلك، قيامه بركل جاسوس الفرنسيين ابن الحلاّج[٦٨] برجله، وإتباعه بضربات عنيفة بالحذاء على رأسه ووجهه، حين جاء لاعتقاله، فعاد منهزماً مع من معه من جلاوزة الفرنسيين، الذين كادت أيدي الناس وأرجلهم أن

تقضي عليهم[٦٩].

وفي مواقفه لم يخرج عن تشديده على صون الوحدة الوطنية، عبر المحافظة على المسيحيين وحماية أملاكهم، وفي سبيل ذلك أقسم اليمين في وادي الحجير وقطعه على من حضر هناك، ولما لم يرق للفرنسيين مثل هذه المواقف، قاموا بمحاولات لاغتياله، فهاجموا داريه في صور وشحور وأحرقوهما، حيث فرَّ وألتجأ إلى كهف على نهر الليطاني، كان التجأ إليه أحد أجداده السيد صالح شرف الدين سنة (١٨٧٣م) فراراً من جور أحمد باشا الجزار (ت١٢١٩هـ / ١٨٠٤م)[٧٠].

وتحقيقاً للعدالة والمساواة بين الناس، أرسل رسالة إلى حبيب باشا السعد عام (١٣٤٧هـ / ١٩٢٧م)، رئيس الجمهورية اللبنانية تحت الانتداب الفرنسي لسنتين من (١٩٣٣م حتى ١٩٣٥م)، منها: «أما الجنوب فإن مرابعه يباب، وماءه محض سراب، لم تمتد إليه يد ببناء، ولم تلح له بارقة رجاء، ولعل يدك الكريمة تسرع إليه بما أبطأ عنه غيرك، وتعود إليه بما حرم منه»[٧١].

كما أرسل رسالة أُخرى إلى الرئيس بشارة الخوري (ت١٣٨٤هـ / ١٩٦٤م)، أول رئيس للجمهورية اللبنانية بعد الاستقلال سنة (١٩٤٣م)، إثر اعتداء الصهاينة على الجنوب اللبناني في عام (١٣٦٨هـ / ١٩٤٨م)، ينتقد فيها التقصير الرسمي، قائلاً: «حسبنا الآن نكبة جبل عامل، في حدوده المتاحة، ودمائه المباحة.. هذا الجبل المرابط يدفع جزية الدم لشذاذ الآفاق، من كل من لفظته الأرجاء، ونبذته الأرض والسماء، وهذا الجبل الذي يقوم بما عليه من واجبات،ولا يعطي ما له من حقوق، كأنه الشريك الخاسر، يدفع الغرم، ومن الغنم يحرم..»[٧٢].

ومثلها رسالة أُخرى إثر حملة عسكرية قامت بها الحكومة اللبنانية

على عشائر الهرمل في أيلول ١٣٦٩هـ / ١٩٤٩م، يحدد فيها سياسة إنمائية تنتهجها دولة حكيمة، يقول: «... ألا ترون أن تغزوهم بجيش من التسامح، تريشون به جناح الوطن المهيض، وتشفون جنبه المريض؟ ألا ترون أن تؤدبوهم بنقلهم من البداوة إلى الحضارة، ومن البطالة إلى العمل، ومن اليأس إلى الأمل؟ ألا ترون أن إعمار المدارس والمستشفيات، يغني عن إعمار السجون والقبور؟ وشق الشوارع والطرقات، يغني عن شق الجيوب والصدور؟»(٧٣).

وهو في ذلك، يريد للدولة أن تقوم بما يزيل الحيف اللاحق بالمستضعفين والمحرومين، وإنصافهم وظيفياً وإنمائياً عبر انخراطهم في الوظائف، وتنفيذ مشروع الليطاني، وتأسيس المدارس، وشق الطرقات وتعبيدها، ورفع مستوى الخدمات، وتطوير المحاكم الشرعية وإصلاحها، وتعليم المرأة وتشجيعها على أخذ دورها في المجتمع.

ولمواجهة الفقر والبؤس، استثار الأغنياء من مهاجرين وغيرهم، لتأدية ما عليهم من حقوق، كان يأخذها، ويوزعها على الفقراء بالتساوي، قائلاً في هذا المجال: «طفقت، يومئذٍ، استنجد الكرام الموسرين، وأستجدي ضمائرهم لأُولئك الهلكى بمرأى ومسمع منهم.. رفعت صوتي، بذلك، أستخرج من أعماق الناس معانيهم الإنسانية، ولعلي أبليت في ذلك بلاء حسناً، فيسر الله لي بفضله وكرمه، ما كنت ألتمسه لأُولئك الجوعى العراة.. وبرزت الأخماس تقفوها الزكوات، وتتلوها أثلاث الموتى إلى رصيد معلوم..»(٧٤).

وانتصاراً للمرأة، وخوفاً عليها أن تتيه في صحراء العمه والضلال، وتطغى عليها موجة الجهل المرير، فتغرق في تلك اللّجة السحيقة، افتتح مدرسة الزهراء، في صور، ليخرج الفتاة معدة لتربية مستقبل، وبناء جيل،

كما يخرج الفتى من المدرسة الجعفرية... ولما نودي بإقفال هذه المدرسة من قبل الحكومة اللبنانية سنة (١٣٦٢هـ / ١٩٤٢م)؛ لتحل محلها المدرسة الرسمية سنة (١٣٦٣هـ / ١٩٤٣م)، سارع إلى فتح داره أمام الفتيات، المقتحمن العقبات، بأسمى معاني الحياة[٧٥].

كل ذلك، كان تعبيراً عن حماسة للعلم الذي فرضه الله ورسوله على كل مسلم ومسلمة، وتدعيماً له، اندفع إلى تأسيس مدرسة تقضي على الجهل، وشعاره المدوي دائماً: لا ينشر الهدى إلاّ من حيث انتشر الضلال. فكانت الكلية الجعفرية في صور سنة (١٣٧٦هـ / ١٩٥٦م)، التي درّس فيها العلوم الدينية والعصرية[٧٦]، وسعى إلى تطويرها بإلحاق مسجد بها، جعل سطحه معداً لبناء سبع غرف للتدريس... ثم أنشأ في الطبقة العليا من المؤسسة غربي المدرسة صرحاً ضخماً، أسماه نادي الإمام جعفر الصادق، يستقبل الناس أيام المواسم الدينية، وأيام الأفراح والأتراح، وعند إقامة الحفلات في سائر الشؤون، لا سيما يوم عاشوراء، ومولد سيد الأنبياء، والغدير[٧٧]، وكان يطمح أن يحولها إلى جامعة قائلاً في هذا الصدد: «.. نأمل بتوفيق الله عزَّ وجلَّ، أن تظل سائرة على سنة النجاح المطّرد إلى جامعة لأنواع الثقافات العالية من العلوم الإسلامية وغيرها»[٧٨].

وهو يبغي إلى تعهد الأجيال، وصولاً إلى بناء المجتمع المتحضر، والقادر على التكامل مع محيطه، للعب دور فاعل في المسيرة القومية، التي أخذت من اهتمامه.

وهو الذي عاش مأساة فلسطين، وناضل من أجل نصرتها، وشجع كل من وقف معها، وآزرها وحرض على الجهاد في سبيلها، قائلاً: «ولنكن نحن من فلسطين مكان الحسين من قضيته، ليكون لنا ولفلسطين،ما كان له ولقضيته، من حياة ومجد وخلود... لقد دقت

الساعة، وحمَ الأجل، وموعدنا فلسطين، فيها نموت أو عليها نحيا»[٧٩].

وفي سنة (١٣٦٨هـ / ١٩٤٨م)، وإثر انعقاد مؤتمر عمان لإنقاذ فلسطين، أرسل برقية إلى الملك عبدالله (ت١٣٧٠هـ / ١٩٥١م)، يحث فيها العرب والمسلمين على تحريرها، جاء في خاتمة البرقية: «وليس ذهاب فلسطين فاجعاً، لولا أنه ذهاب لريح العرب وعزّ الإسلام، وكرامة الإنسان المسترق في غد هذا الشرق القريب[٨٠]، ولعله هنا، يعبر عن ميله القومي، تأييداً لقيام وحدة عربية إسلامية، تستند إلى وحدة برامج تعليمية تربوية، ووحدة سياسية خارجية، ووحدة جمارك، على أن يحميها جيش عربي قوي، ويفهم هذا من قوله للملك فيصل حين قدم له مبلغاً من المال وتبرع به: «تمنيتُ أن أكون درهماً، لأضع نفسي في صندوق الجيش العربي، لأُدافع عن الإسلام والعروبة»[٨١].

وهو لم يخف هذه الرغبة، بل أظهرها بالتعبير عن إعجابه بالرئيس جمال عبدالناصر (ت١٣٩٠هـ / ١٩٧٠م) وبسياسته وفكره، حين أرسل رسالة لفيصل الثاني (ت١٣٧٧هـ / ١٩٥٨م) ملك العراق، يدعوه فيها أن يكون لشعبه كما هو عبدالناصر لشعبه مخلصاً[٨٢].

وهذه المهمات التي يقصر عنها مجموعة من الرجال، اضطلع بها السيد شرف الدين، وتصدى إليها، من غير أن تثنيه عن متابعة البحث والتأليف، وهو الذي أصدر العديد من المؤلفات المطبوعة، وأودع الأُخرى أدراج المكتبة استعداداً للطباعة، فمن المطبوع مثلاً: الفصول المهمة في تأليف الأُمّة؛ المجالس الفاخرة في مآتم العترة الطاهرة؛ أجوبة مسائل موسى جار الله؛ الكلمة الغراء في تفضيل الزهراء؛ فلسفة الميثاق والولاية؛ أبو هريرة؛ إلى المجمع العلمي العربي؛ كلمة حول الرؤية؛ النص والاجتهاد؛ مؤلفو الشيعة في صدر الإسلام، زينب الكبرى؛ ثبت الأثبات في سلسلة

الرواة؛ بغية الراغبين في سلسلة آل شرف الدين، الذي طبع لاحقاً بعناية وإشراف ولده السيد عبدالله شرف الدين؛ وأخيراً المراجعات.

وهناك كتب أُخرى طبعها بالاشتراك مع غيره من العلماء، أما المؤلفات المخطوطة، فمنها: المسائل والرسائل، كما أن هناك مؤلفات عاثت بها أيدي الأشرار، ففقدت حين اعتدى الفرنسيون على داره(٨٣).

إنها غزارة في التأليف، تؤشر إلى حب العلم والثقافة، باعتبارهما دعامتين أساسيتين للمجتمع الذي يسعى أبناؤه إلى تطويره، التحاقاً بركب الحضارة والتقدم.

والسيد شرف الدين، في علمه الجهادي، ودأبه على التأليف والعطاء، لم يحد عن العلمية والموضوعية، بل كان صاحب منهج واضح، وأُسلوب عمل حسن أيضاً، يمكن تلمسه من خلال كتاباته وتطلعاتها ومواقفه وطرائق تصديه للمشكلات، التي أظهرته بحق مصلحاً دينياً، وسياسياً، واجتماعياً.

وسطية المنهج ووضوح الأسلوب:

على المستوى الفقهي، ذهب السيد شرف الدين مذهب المعتزلة في عدم إمكانية رؤية الخالق، التي نفاها عقلاً وشرعاً(٨٤)، وعارض أهل المشبهة والمجسمة القائلين بأن الله جسم مركب من لحم ودم، وأنه على صورة الإنسان، له طول وعرض، كما له وجه وعينان(٨٥)، والتقى مع المعتزلة قائلاً: إن الله منزه عن الجسم والكيف، ومقدس عن أن يحس، أو يحاط به علماً، وهو أي الله تعالى دل على ذاته بذاته، وتنزه عن مجانسة مخلوقاته(٨٦)، وفي مسالة الاختيار والجبر، نجده في أمر بين أمرين، إذ لا جبر ولا تفويض عنده، وكذا في مسألة الإمامة، فإنه، إزاءها، صاحب

معتقدين، الأول: الإمامة أصل من أُصول الدين، يمارس ذلك، في عباداته وفي علاقاته مع الخالق، وفي مجالسه الخاصة والضيقة، والثاني: الإمامة أصل من أُصول المذهب، ويعبر عن ذلك في مجالسة العامة، وحواراته، وعقلاقاته، مع أنداده من العلماء المسلمين، مركزاً ـ دائماً ـ على الحديث الشريف: «من قال لا إله إلاّ الله، محمد رسول الله يحترم ماله وعرضه»؛ ليوظف كل ذلك في سبيل الوحدة الإسلامية التي آمن بها، وعمل لأجلها، ودعا إلى قيامها، لكنه، في الوقت عينه، لم يحد عن القول بعصمة الإمام، وأعلميته، وأفضليته، على أهل زمانه علماً وورعاً وأخلاقاً.

وإذا وصلنا إلى الأحاديث النبوية، التي ذكرها أبو هريرة، وجدناه يرفض المتناقض منها، الذي لا يتفق مع منطق العقل، ويمسّ العقيدة، وهو يحدد نوعيتها بالقول: بعضها يمس العقيدة في صورتها ومعناها، وبعضها يمس الطبائع في نواميسها ونظرتها، وبعضها متناقض متداحض، وبعضها خارج عن قواعد العلم المشتقة من صلب الدين، وكثير منها تزلّف، وبعضها خيال أو خبال، وهي بجملتها خروج على أُصول الصحة في كل معانيها(٨٧).

أما مسألة المآتم الحسينية، فإنه لم يحرّمها، لكنه لم يشجع، أو يحبذ القيام بشعائرها على الطريقة التقليدية، والدليل على ذلك، عدم إقامة الشبه (أي مسرحية عاشوراء) لا في صور، ولا في بلدته شحور، مركزي إقامته، كما أنه كان ينتقي خطباء المنابر الحسينية من الشباب المثقفين، ويخضعهم لرقابة مشددة، يتولاها بنفسه، ويعدّهم إعداداً جيداً، لغة وأُسلوباً ومضموناً، وطريقة أداء، لينأى بهذه المجالس عن المبالغات الممقوتة، والسخافات الهابطة التي لا يقبلها الذوق، ولا يألفها العقل، حتى إنه كان في كثير من الأحيان، يقوم مقام المقرئ، معتمداً على استخراج العِبرة (بكسر العين) من ثورة الحسين، لا على استدرار العَبرة (بفتح العين)

حزناً وأسىً؛ لأن الحسين لا يُبكى عليه، بل يقتدى به[٨٨]، ووضع لأجل ذلك، مؤلفاً هو المجالس الفاخرة في مآتم العترة الطاهرة[٨٩].

ولأن سهام النقد والتجريح، راحت تنهمر من المؤمنين وغير المؤمنين، عمد إلى تهذيب المعتقدات، وتشذيب الدين، وتجديد الفكر بمرونة واعتدال، وحسم الموقف مما كان مثار خلاف وجدل، كولادة الرسول ﷺ، حيث وافق على الثاني عشر من ربيع الأول كتاريخ لهذه الذكرى العظيمة، علماً أن الشيعة يرونها في السابع عشر منه، ليستوي السيد صاحب منهج وسطي في الإسلام تتطلع إليه كل الأعين الرانية إلى الوحدة، وتهفو إليه كل الأفئدة المتعطشة إلى الخلاص من الفرقة والتعصب.

وهو في عمله، كان يجمع التقوى والإيمان إلى جانب العلم والعمل، مستثمراً طاقات الأجيال، ليوظفها في سبيل المصلحة العامة، كالذي فعله مع المغتربين العامليين في إفريقيا، حين استقدم منهم المساعدات المالية، ليبني صرحاً أسماه بناية المهاجر، وأوقفه معهداً علمياً سنة (١٣٦٩هـ / ١٩٤٩م)[٩٠]، وهذا السلوك المتلازم وطبيعة المهمة، لا يتناقض مع سلوكه في حياته الخاصة، أو علاقته مع الآخرين، فإذا فاجأه أمر ما، يستحضر سرعة البديهة على الفور، وإذا شاء إخفاء أمرٍ ما، يلجأ إلى الترميز بالابتعاد عن التصريح، وتمثيلاً على الأول: كان في إحدى الحفلات في مصر، وتقدم الحضور منه لمصافحته، وبينهم الأديبتان فاطمة اليوسف، ومي زيادة (ت١٣٦٠هـ / ١٩٤٠م)، واسمها ماري بنت إلياس زيادة، وحين همت السيدة مي، بيدها، لمصافحته، لفّ يده بعباءته وصافحها، فارتبكت، ولكن السيدة اليوسف، أنقذت الموقف بقولها: لعلّ الشيخ على وضوء.

وتمثيلاً على الثاني: أرسل ذات يوم رسالة مرمزة إلى معلم المدرسة

المسؤول عن ابنه جعفر، الذي فخر بها على زملائه وهي من الشعر:

بارك الله بجعفر يقرأ الخط المبعثر
يجمع الحرف كجوهر فلعمر الله تُشكر[٩١]

وقريب من هذا، ما جرى بينه وبين أحد أقاربه الشباب، الذي دخل عليه يوماً، وبيده كتاب حول ديكارت، فبعد أن قلب صفحاته مسرعاً، راح يعرض لنظريات الشك واليقين، والإلحاد والإيمان، ثم التفت إليه قائلاً: يا بني إن اهتماماتي بموضوعات معينة، لا تسمح لي بمطالعة مثل هذه الكتب، وأعتمد عليك في أن تجلعني على اتصال مع المؤلفات الحديثة، وهو هنا، ترك له حرية المطالعة، واحتفظ لنفسه بالمراقبة[٩٢]، بعد أن أوحى بما لا يشجع على قراءة مثل هذا الكتاب.

هذا الحشد من الخصائص المميزة في شخصية الإمام شرف الدين، وذاك الدور الرائد وطنياً وقومياً في الميادين الاجتماعية والتربوية والأخلاقية، المستند إلى وسطية المنهج، واعتدال الرؤية والأُسلوب وشجاعة الموقف، وذلك الكم من المؤلفات النوعية التي تنم عن غنى معرفي، وعمق تحليلي، تأخذ بصاحبها إلى موقع الصدارة، وتضعه موضع الرفعة؛ ليكون صاحب مكانة، تمثلت:

أولاً: بالتأييد الشعبي، الذي عبر عنه محمد علي الحوماني (ت١٣٨٤هـ / ١٩٦٤م)، حين صوّر مشهد عودته من المنفى إلى بلدته شحور، قائلاً: أتذكر يوم عدت من مهجرك في سبيل الجهاد، وهبطت صور، فانكفأ الجبل بأسره عليك... إلى أن يقول: وشهدت، أيضاً، يوم أعلنت صعودك إلى قريتك شحور، ثم صعدت والخيل في ركابك تمتد أميالاً، حتى إذا وطأت أرضها، غصّت الحقول بالمستقبلين، حتى لم يبق شجرة تتدلى فروعها على غير محبيك، وزائريك[٩٣].

وثانياً: بالشهادات التي حظي بها من قبل عارفيه، ومنهم: محمد رشيد رضا الذي أشاد بالروح الإسلامية العالية التي كان يتمتع بها السيد شرف الدين[٩٤]، والكاتب عبدالعزيز سيد الأهل الذي وصفه بالإمام، ووصفه محمد كرد علي بالإخباري[٩٥]، والسيد محمد حسين فضل الله الذي اعتبره إماماً في الوحدة الإسلامية، في الخط الموضوعي للوحدة، وفي الخط العلمي للوحدة، كان يسبق عصره[٩٦]، والدكتور مصطفى الرافعي الذي لم ير فيه زعيماً روحياً لمذهب من مذاهب المسلمين فحسب، بل رأى فيه زعيماً روحياً لأبناء المذاهب الإسلامية كلها[٩٧]، ومي زيادة التي قالت: لا أدري هل خاتمه أطوع لبنانه، أم فكره أطوع للسانه[٩٨]، وجمعية منتدى النشر في النجف، قالت عنه: علم الأُمّة الشامخ، وحصنها المنيع[٩٩]، ومجلة رسالة الإسلام وصفته بالعلم من أعلام الأُمّة الإسلامية[١٠٠]، وغير ذلك الكثير ممن أحلّوه محل المقدمين.

وثالثاً: بإجازات أعلام المسلمين، الذين ركزوا على علمه، وإيمانه وعدله، واجتهاده، معترفين بعالميته ونزاهته، وأمانته، وتقاه، ومرجعيته، وجمعه لشرائط الإفتاء[١٠١].

وهذه المكانة التي سعت إلى السيد عبدالحسين شرف الدين، ولم يسع إليها، في زمن قلما نجا معاصروه من لوثة سيقت إليهم عمداً، أو بطريق الصدفة، أحلّته محل الأعلام المجاهدين، والرجالات المبرزين، وأنزلته منزلة المنافحين بصدق، عن حقوق سلبت، وأهداف طمست، وقدمته إلى الجمهور علماً وضع العقل والفكر في أرفع منزلة من سلم النشوء والارتقاء، وجامعاً لمعارف الدين والدنيا، وصاحب دستور تربوي رائد، وصاحب منهج وسطي في إسلامه الصادق، وأُسلوب مميز في التعاطي مع ما يعرض له من مشكلات وهموم وقضايا، ومبدلاً لمعتقدات قديمة أن

لا شأن لرجل الدين بالسياسة وأُمور الاجتماع، بل يقتصر دوره على التحليل والتحريم؛ لتقوم معتقدات جديدة أن رجل الدين هو من صلب المجتمع، ومن لا يتصدى لدوره يشك بإيمانه وإسلامه، وهي السمة السائدة اليوم، والمنتشرة بشكل واضح في المجتمعات، وفيها عبقٌ من ضوع السيد عبدالحسين شرف الدين الذي استقر أخيراً، شاهداً على عصره الصعب، وزمانه المعقد، كقيمة استعلت على المكان والزمان، وقائداً رائداً، ومصلحاً واعظاً، ومتنوراً مؤمناً، وقدوة حسنة استحضرها العلماء في العصر الحاضر، منطلقين إلى أخذ دورهم في المجتمع الذي حرم من طاقاتهم أعصراً ودهوراً، مشكّلاً نقطة ارتكاز دائرة الاستثناء في الزمن الصعب، حيث يشار إليه، ويستحضر عند كل أمر جلل، وحسبه أخيراً، كما حسبنا، كلام رب العالمين: ﴿يَرْفَعِ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾(١٠٢).

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

* * *

الهوامش:

(١) فاطر: ٣٩.

(٢) علي مروة، تاريخ جباع ماضيها وحاضرها: ٤٣٤، ط. الأُولى ١٣٨٧هـ/١٩٧٧م، دار الأندلس ـ بيروت.

(٣) أمين سعد، الثورة العربية الكبرى ١: ٨، مطبعة عيسى البابي ـ القاهرة.

(٤) جورج أنطونيوس، يقظة العرب: ٣٣٣، ط. السادسة ١٤٠١هـ / ١٩٨٠م، دار العلم للملايين ـ بيروت.

(٥) عبدالحسين شرف الدين، صفحات من حياتي: ٦، مجلة الألواح، العدد ١٤؛ وأنظر أيضاً: حسن محمد سعد، جبل عامل بين الأتراك والفرنسيين ١٩١٤ ـ ١٩٢٠: ٥٣ ـ ٥٦، ط. الأُولى ١٤٠١هـ / ١٩٨٠م، دار الكتاب ـ بيروت.

(٦) وهو مكان يتوسط البلاد العاملية، يلفظ بالتصفير، واقع على بعد خمسة عشر ميلاً من النبطية غرباً؛ أُنظر: محمد جابر آل صفا، تاريخ جبل عامل: ٢٢٦، ط١٤٠١هـ / ١٩٨١م، دار النهار ـ بيروت، وأنظر أيضاً: محسن الأمين، خطط جبل عامل: ١٦٨، تحقيق: حسن الأمين ط. الأُولى ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م، الدار العالمية ـ بيروت.

(٧) عبدالحسين شرف الدين، بغية الراغبين في سلسلة آل شرف الدين ٢: ٤٣٩ ـ ٤٤١، تحقيق وإعداد السيد عبدالله شرف الدين، ط. الأُولى ١٤١١هـ / ١٩٩١م الدار الإسلامية ـ بيروت.

(٨) أحمد رضا، مذكرات للتاريخ: ٩٨٩، مجلة العرفان المجلد ٣، الجزء ٩.

(٩) هاني فرحات، الثلاثي العاملي: ٤١، ط١٤٠٢هـ / ١٩٨١م، الدار العالمية ـ بيروت.

(١٠) بنت جبيل: مدينة لبنانية تقع في أقصى الطرف الجنوبي من جبل عامل، تبعد عن بيروت ١٢٠ كلم، مركز قضاء في محافظة النبطية، يناهز سكانها الخمسين ألفاً منهم حوالي الأربعين في المهجر خصوصاً في أميركا. أُنظر رامز حوراني، بنت جبيل الشاعرة: ١٣ ـ ١٤، ط. الأُولى ١٤٢١هـ / ٢٠٠١م.

(١١) بغية الراغبين، مصدر سابق ٢: ١٦٠.

(١٢) جريدة البشير، ٢٠ آيار ١٩٢٠.

(١٣) تاريخ جبل عامل، مصدر سابق: ٢٢٦ ـ ٢٢٧؛ وانظر: علي عبدالمنعم شعيب، مطالب جبل عامل: ٧٨، ط. الأُولى ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م، دار مجد ـ بيروت.

(١٤) زاهية قدورة، تاريخ العرب الحديث: ١٧، ط ١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م، دار النهضة العربية ـ بيروت.

(١٥) بغية الراغبين، مصدر سابق ٢: ١٤١.

(١٦) محمد كاظم مكي، حجة الإسلام السيد حسين يوسف مكي العاملي في حياته ومماته: ٥، ط. الأُولى ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م.

(١٧) شجرة النسب: عبدالحسين شرف الدين بن يوسف بن جواد بن إسماعيل بن محمد الثاني ابن محمد بن إبراهيم أبو محمد الملقب بشرف الدين بن زين العابدين بن علي نور الدين بن نور الدين علي بن عز الدين الحسين بن محمد بن الحسين القطعي بن موسى السجة بن إبراهيم المرتضى ابن الإمام موسى الكاظم عليه السلام.

(١٨) عبدالحسين شرف الدين، النص والاجتهاد: ٧، ط. الثانية ١٣٨٦هـ / ١٩٦٦م. مؤسسة الأعلمي ـ بيروت.

(١٩) محمد كاظم مكي، مصدر سابق: ٥.

(٢٠) السيد يوسف ابن السيد جواد، وأُمّه كريمة الحاج درويش ابن الحاج علي. ولد في شحور سنة ١٢٦٢ أو ١٢٦٣ للهجرة، ارتحل إلى جبع سنة ١٢٧٥هـ، ثم هاجر إلى العراق سنة ١٣٨٥هـ، ثم عاد إلى بلدته شحور، ومنها انتقل إلى بنت جبيل، ثم عاد إلى بلدته، ومنها إلى طورة بطلب من أهلها، ثم إلى بلدته من جديد، حيث توفي سنة ١٣٣٤هـ. أُنظر: بغية الراغبين ١: ٤٥٩ و٤٦٩.

(٢١) أُنظر: بغية الراغبين، مصدر سابق ٢: ٦٤.

(٢٢) مجلة المعهد: ٤، العدد ٣، آذار ١٩٤٧م.

(٢٣) من أبرز الذين أجازوه: شيخ الطائفة في عصره الشيخ محمد طه نجف، والشيخ محمد كاظم الخراساني، والشيخ آقا رضا الهمداني، والشيخ عبدالله المازندراني، الشيخ فتح الله الشيرازي، والسيد إسماعيل الصدر. أُنظر بغية الراغبين، مصدر سابق ٢: ٨٧ ـ ٩٢.

(٢٤) هادي فضل الله، رائد الفكر الإصلاحي السيد عبدالحسين شرف الدين: ٤٨ ـ ٥٠، دار عز الدين ـ بيروت.

(٢٥) المجلس الثقافي للبنان الجنوبي، (جعفر شرف الدين) دفتر الذكريات الجنوبية ٢: ٥٤، دار الكتاب اللبناني ـ بيروت ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م.

(٢٦) هادي فضل الله، مصدر سابق: ٥٢.

(٢٧) محمد حسين فضل الله، السيد عبدالحسين شرف الدين الشخصية المتعددة الجوانب: ١٥٠، الكتاب الصادر عن المؤتمر المنعقد حول السيد شرف الدين عام ١٩٩٢م.

(٢٨) أُنظر: عبدالحسين شرف الدين، المراجعات: ٣٧٤ ـ ٣٧٥، ط. الثامنة عشرة ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م، دار التعارف للمطبوعات ـ بيروت.

(٢٩) عبدالحسين شرف الدين، مجلة العرفان: ٧٧٨ ـ ٧٨٠، المجلد الخامس.

(٣٠) هادي فضل الله، مصدر سابق: ٥٥.

(٣١) علي المحافظة، الاتجاهات الفكرية عند العرب في عصر النهضة ١٧٩٨ ـ ١٩١٤: ١٠٩، ط. الثالثة ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م، الدار الأهلية ـ بيروت.

(٣٢) بسام عبدالوهاب الجابي، معجم الأعلام: ٧٢١، ط. الأُولى ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م، نشر الجفان والجابي ـ دمشق.

(٣٣) محمد محمد حسين، الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر ١: ١٤٨، ط. الثانية ١٣٨٢هـ / ١٩٦٢م، مكتبة الآداب ـ القاهرة؛ وانظر: ساطع الحصري، ما هي القومية: ٢١١، ط. الثانية ١٣٨٣هـ / ١٩٦٣م، دار العلم للملايين ـ بيروت.

(٣٤) ومنهم رفاعة الطهطاوي.

(٣٥) علي المحافظة، مصدر سابق: ١٢٥.

(٣٦) ومنهم عبدالله النديم.

(٣٧) عبدالله النديم، سلافة النديم ٢: ٧٨، مطبعة الهندية ـ القاهرة ١٣٢١هـ / ١٩٠١م.

(٣٨) محمد جابر آل صفا، مصدر سابق: ١٨٦.

(٣٩) جورج انطونيوس، مصدر سابق: ٨٨؛ وانظر: ساطع الحصري، محاضرات في نشوء الفكرة القومية: ٢٢١ ـ ٢٢٣، ط. الرابعة ١٣٧٩هـ / ١٩٥٩م، دار العلم للملايين ـ بيروت.

(٤٠) Volney. Voyage en syrie et en egypte. Paris, ٢ edition. P. ٣٩٥ – ٣٩٨.

(٤١) آل عمران: ١٠٣، والأنعام: ١٥٩.

(٤٢) رواه مسلم. أُنظر النووي، رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين: ٩٣ ـ ٩٤، دار الجيل ـ بيروت.

(٤٣) القاضي الآمدي، غرر الحكم ودرر الكلم: ٢٦١ و٤٢٤، ط. الأُولى ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م، تحقيق: عبدالحسين دهيني، دار الهادي ـ بيروت.

(٤٤) جماعة التقريب بين المذاهب، دعوة التقريب بين المذاهب: ٥٣، دار الجواد ـ بيروت.

(٤٥) النووي، مصدر سابق: ٩٣.

(٤٦) عبدالحسين شرف الدين، «حرمة المسلم» في دعوة التقريب بين المذاهب: ٥٩ ـ ٦٥.

(٤٧) عبدالحسين شرف الدين، بغية الراغبين ٢: ٤٤٨.

(٤٨) عبدالحسين شرف الدين، أجوبة مسائل موسى جار الله: ١٢٥، ط. الثالثة ١٣٦٨هـ / ١٩٦٦م، دار النعمان ـ العراق.

(٤٩) المصدر السابق: ١٨.

(٥٠) محمد جواد مغنية، الشيعة والحاكمون: ٨٥ ـ ٨٦، ط. الرابعة، دار التعارف ـ بيروت.

(٥١) راجع مجلة العرفان: ٣٩١، المجلد ٤٥.

(٥٢) عبدالحسين شرف الدين، الفصول المهمة في تأليف الأُمّة: ٢١، ط. السابعة ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م، دار الزهراء ـ بيروت.

(٥٣) راجع مجلة العرفان: ٦٠٨ ـ ٦١٠، المجلد ٤٦.

(٥٤) راجع مجلة العرفان: ٦١٠، المجلد ٤٦.

(٥٥) الأنبياء: ١٠٧.

(٥٦) عبدالرحمن الكواكبي، طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد: ٤١ ـ ٦٤، مؤسسة ناصر الثقافية، ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م.

(٥٧) رفاعة الطهطاوي، مناهج الألباب المصرية في مناهج الآداب العصرية: ٨٤ ـ ٩٣، ط. الثانية ١٣٣٢هـ / ١٩١٢م، مطبعة الرغائب ـ القاهرة.

(٥٨) أحمد فارس الشدياق، الساق على الساق: ٥٩٢، مكتبة الحياة ـ بيروت ١٣٨٦هـ / ١٩٦٦م.

(٥٩) قاسم أمين، تحرير المرأة: ١٤ و٤٧ و١٠٩، دار المعارف ـ القاهرة ١٣٩٠هـ / ١٩٧٠م.

(٦٠) ابن خلدون، المقدمة ١: ٥٥٤، ط. الرابعة، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت.

(٦١) محمد مهدي شمس الدين، "البعد الفقهي في شخصية الإمام شرف الدين العلمية": ٥٩، في الكتاب الصادر عن المؤتمر المنعقد حول شرف الدين سنة ١٩٩٢م.

(٦٢) موسى الصدر، الرجل.. الموقف.. القضية: ٢٧.

(٦٣) حسين القوتلي، التوحيد منهج للإصلاح الإسلامي العربي عند عبدالحسين شرف الدين: ٩ في كتاب المؤتمر المنعقد في ١٩٩٢م.

(٦٤) هادي فضل الله، مصدر سابق: ١٤٧.

(٦٥) عبدالحسين شرف الدين، صفحات من حياتي، مجلة الألواح: ٥، العدد ١٤ لسنة ١٩٢٠م.

(٦٦) عبدالحسين شرف الدين، النص والاجتهاد: ١٥.

(٦٧) عبدالرؤوف فضل الله، "السيد عبدالحسين شرف الدين شخصية فذة": ٣٠٠، في كتاب المؤتمر المنعقد عام ١٩٩٢م.

(٦٨) ابن الحلاج: اسمه جبران، من أهل صور، وقد فر بعد ذلك إلى إفريقيا، وتوفي سنة ١٣٧٩هـ / ١٩٥٩م.

(٦٩) عبدالحسين شرف الدين، بغية الراغبين ٢: ١٤٩ ـ ١٥٠.

(٧٠) جعفر شرف الدين، من دفتر الذكريات الجنوبية: ١٥.

(٧١) عبدالرؤوف فضل الله، مصدر سابق: ٢٩٩.

(٧٢) عبدالحسين شرف الدين، المسائل والرسائل، مخطوط.

(٧٣) عبدالحسين شرف الدين، بغية الراغبين ٢: ٤٧٣.

(٧٤) المصدر السابق ٢: ١٤٤؛ وانظر محمد شريعتي، "جوانب من سيرة الإمام المجاهد السيد عبدالحسين شرف الدين": ١٤ في الكتاب الصادر عن مؤتمر شرف الدين سنة ١٩٩٢م.

(٧٥) بغية الراغبين ٢: ١٢٩ و ١٣٠.

(٧٦) من دفتر الذكريات الجنوبية ٢: ٧١.

(٧٧) بغية الراغبين ٢: ١٢٨ ـ ١٢٩.

(٧٨) راجع مجلة العرفان: ٦٨٠ و٧٧٧، المجلد ٤٥.

(٧٩) المصدر السابق: ٦٨٠ ـ ٧٧٠.

(٨٠) من دفتر الذكريات الجنوبية ٢: ٤٥.

(٨١) النص والاجتهاد، مصدر سابق: ٢٧.

(٨٢) المسائل والرسائل، مخطوط.

(٨٣) عبدالحسين شرف الدين، الكلمة الغراء في تفضيل الزهراء: ٢٥١ ـ ٢٥٣، ط. الثالثة ١٣٧٥هـ / ١٩٥٥م، مطبعة النجف ـ النجف الأشرف.

(٨٤) عبدالحسين شرف الدين، كلمة حول الرؤية وفلسفة الميثاق والولاية: ٨ ـ ٩، دار المحيط ـ العراق.

(٨٥) الشهرستاني، موسوعة الملل والنحل: ٤٥، ط. الأُولى ١٤٠١هـ / ١٩٨١م، مؤسسة ناصر للثقافة ـ بيروت.

(٨٦) كلمة حول الرؤية وفلسفة الميثاق والولاية، مصدر سابق: ٧ و٦٠.

(٨٧) عبدالحسين شرف الدين، أبو هريرة: ١٠، ط. الرابعة ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م، دار الزهراء ـ بيروت.

(٨٨) من دفتر الذكريات الجنوبية ٢: ٩٤.

(٨٩) هادي فضل الله، مصدر سابق: ١٣٧ ـ ١٣٨.

(٩٠) من دفتر الذكريات الجنوبية ٢: ٥٢.

(٩١) المصدر السابق: ٢٤ و٤٠ ـ ٤١.

(٩٢) محمد شريعتي، في الكتاب الصادر عن مؤتمر شرف الدين: ١٥.

(٩٣) محمد علي الحوماني، مجلة العروبة، العدد ٢٠.

(٩٤) النص والاجتهاد، مصدر سابق: ١٤.

(٩٥) مجلة العرفان: ٨٤٨ ـ ٨٥١، المجلد ٣٧.

(٩٦) محمد حسين فضل الله، مصدر سابق: ١٥٤.

(٩٧) مصطفى الرافعي، "البعد الوحدوي للمجتهد الأكبر السيد عبدالحسين شرف الدين": ٢٨٣، في كتاب مؤتمر شرف الدين لسنة ١٩٩٢م.

(٩٨) جعفر شرف الدين، من دفتر الذكريات الجنوبية: ١٢٤.

(٩٩) بغية الراغبين، مصدر سابق ٢: ٢٥٨.

(١٠٠) المصدر السابق: ٢٦٥.

(١٠١) هادي فضل الله، مصدر سابق: ٥٢ ـ ٥٣.

(١٠٢) المجادلة: ١١.

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى